

روح المعاني

المطلقة من أفق الظهور غابوا ونسخت أحكامهم على نحو غيبوبة الكواكب وانمحاق أنوارها وأضوائها عند طلوع الشمس من تحت الحجاب منخلعة على الجلباب ويرجون رحمته ويخافون عذابه لعلمهم بجماله وجلاله والرجاء والخوف جناحا من يطير إلى حضرة القدس وروضة الأنس ومن عطل أحدهما تعطل عن الطيران واستفزز من استطعت منهم بصوتك إلى قوله سبحانه وكفى بربك وكيلًا فيه إشارة إلى اختلاف مراتب تمكن الشيطان من إغواء بني آدم فمن كان منهم ضعيف الاستعداد واستفزه واستخفه بصوته فأغواه بوسوسة وهمس بل هاجسة ولمة ومن كان قوي الاستعداد فإن كان خالصا عن شوائب الغيرية أو عن شوائب الصفات النفسانية لم يتمكن من إغوائه وهذا هو المراد بقوله تعالى : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وإن لم يكن خالصا فإن كان منغمسا في الشواغل الحسية منهمكا في الأمور الدنيوية شاركه في أمواله وأولاده وحرصه على إشراكهم بالله تعالى في المحبة وسول له التمتع والتكاثر والتفاخر بهم ومناه الأمانى الكاذبة وزين له الآمال الفارغة وإن لم ينغمس فإن كان عالما بتسويلاته أجلب عليه بخيله ورجله أي مكر بأنواع الحيل وكاده بصنوف الفتن وأفتاه بأن تحصيل أنواع الحطام والملاذ من جملة مصالح المعاش وعره بعلمه وحمله على الإعجاب به وأمثال ذلك حتى أضله على علم وإن لم يكن عالما بل كان عابدا متنسكا أغواه بالوعد وعره برؤية الطاعة وتركية النفس ولقد كررنا بني آدم الآية قيل كرمهم تعالى بأن خلق أباهم آدم على صورة الرحمن وجعل لهم ذلك بحكم الوراثة وأن الولد سر أبيه وفضلهم على الكثير بأن جعل لهم من النعم ما يستغرق العد وجوز أن يقال : تكريمهم بأن بسط موائد الأنعام لهم وجعل من عداهم طفيليا وتفضيلهم بما ذكر في التكريم أولا وفيه احتمالات آخر يوم ندعو كل أناس بإمامهم أي نناديهم بنسبتهم إلى من كانوا يقتدون به في الدنيا لأنه المستعلي محبتهم إياه على سائر محباتهم فمن أوتي كتابه بيمينه أي من جهة العقل الذي هو أقوى جانبيه فأولئك يقرؤون كتابهم ويأخذون أجور أعمالهم المكتوبة فيه ولا يظلمون فتिला أدنى شيء حقير من ذلك ومن كان في هذه أعمى عن الاهتداء إلى الحق فهو في الآخرة أعمى أيضا وأضل سبيلا لبطلان الكسب هناك وهذا الذي يؤتى كتابه بشماله أي من جهة النفس التي هي أضعف جانبيه إلا أنه عبر عنه بما ذكر لما قدمناه والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل ثم إنه D لما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر حالهم في الآخرة وانقسامهم إلى قسمين سعداء وأشقياء أتبع ذلك بذكر بعض مساوي بعض الأشقياء في الدنيا من المكر والخداع والتلبس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة وفي ذلك إشارة إلى أنهم داخلون فيمن عمي عن الاهتداء في الدنيا دخولا أوليا فقال سبحانه وتعالى : وإن كانوا

ليفتنونا قيل نزلت في ثقيف قالوا للنبي : لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجى في الصلاة وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا وجا كما حرمت مكة فإن قالت العرب : لم فعلت ذلك فقل : إن الله تعالى أمرني وروى ذلك الثعلبي عن ابن عباس ولم يذكر له سنداً . وقال العراقي فيه : إنما لم نجده في كتب الحديث ونقله الزمخشري بزيادة ونقل غيره أنهم طلبوا ثلاث خصال عدم التجبية في الصلاة وكسر أصنامهم بأيديهم وتمتيعهم باللات سنة من غير أن يعبدوها بل ليأخذوا ما يهدى لها فقال : لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما كسر أصنامكم بأيديكم فذلك لكم